فجدع[1] بعيره، وحوّل رحله، وشق قميصه، ووقف يصرخ ببطن الوادى: «يامعشر قريش، اللَّطيمة اللطيمة! أموالكم مع أبى سفيان، قد عرض لها محمد فى أصحابه، لا أرَى أن تدركوها! الغَوْث الغَوْث..!» فقالت قريش: أيظن محمد وأصحابه أنها كعير ابن الحضرمى؟ كلا، والله لَيَعلمَنَّ غير ذلك!.. وخرج رجال قريش سراعًا، وأعان قويُّهم ضعيفَهم، حتى ما منهم رجل إلا خرج أو بعث مكانه رجلا، وحتى يقول الرواة: إن أمية ابن خلف أراد أن يتخلف عن النفير، فجاءه عقبة بن أبى مُعَيْط ومعه مِجْمَرة وبَخور، فوضعها أمامه وهو جالس فى نَدِىّ القوم، وقال له: «استَجْمِر أبا علىّ، فإنما أنت من النساء»!! فخجل واستحيا، وقام من فَوْره فتجهز وسار مع الناس.

أبو سفيان يفلت بالعير

وسار أبو سفيان بالعير يتشمم الأخبار فى طريقه؛ حتى إذا قرب من بدر تقدم العيرَ حَذِرًا حتى ورد الماء، فسأل هناك عن أخبار المسلمين؛ فعلم أن راكبين كانا قد نزلا على تل هناك، فأناخا راحلتيهما ساعة حتى استَقيَا من الماء، ثم رحلا. فذهب أبو سفيان إلى ذلك التل، ونظر فى مناخ الراحلتين، فأخذ شيئًا

(١) الجدع: قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة.